نشاط سينمائي مناهض لتجارة الكوميديا:

انتفاضة أفلام المقاومة والسير في الاتجاه الصحيح

لقطة من فيلم «القدس في يوم اخر»

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من كمال القاضي:

على خلفية قومية وبوازع نضالي اقامت الادارة العامة للسينما التابعة لوزارة الثقافة اسبوعا سينمائيا للاحتفاء بالسينما الفلسطينية بمناسبة مرور 58 عاما على اغتصاب فلسطين. بدأت التجربة في القاهرة وانطلقت منها الى مدن القناة «بورسعيد، والسويس، الاسماعيلية» وبرغم المخاوف التي أحاطت بهذه التجربة لكونها الاولى من نوعها التي يتم فيها عرض افلام فلسطينية ذات طبيعة خاصة على جمهور الاقاليم، إلا ان الاقبال كان مشجعا ومعززا للفكرة ومحفزا ايضا على تكرارها، وربما يعود ذلك الى ثقافة أحمد نوار رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة الذي أحدث حراكا نوعيا في العروض السينمائية ودفع بأفكاره ونشاطات لم تكن موجودة من قبل، إذ كانت أنشطة المؤسسة الرسمية تقتصر على عرض الافلام الامريكية والأوروبية فقط على اعتبار انها الافلام الاكثر رواجا وقربا من ذوق السواد الاعظم من الجمهور.

وقد استمر الايقاع هكذا لفترة طويلة، إلى ان حدث التواصل بين القيادة والاجهزة الثقافية التنفيذية بإدارة السينما وبدأت المياه الراكدة في الجريان، بدأ الافتتاح المبشر في الاسبوع الاول لأفلام المقاومة بمدينة بورسعيد، حيث عُرضت مجموعة من الأفلام المختارة كان اولها فيلم «تذكرة الى القدس» للمخرج رشيد مشهراوي تلاه في اليوم الثاني فيلم «القدس في يوم آخر» للمخرج هاني أبو أسعد ثم جاء الختام في اليوم الثالث بفيلم «حتى اشعار اخر» لرشيد مشهراوي ايضا، واللافت للنظر هنا هو رد فعل الجمهور البورسعيدي الذي احتشد بالقاعة المكشوفة بقصر الثقافة مقبلا في شغف شديد على رؤية افلام روائية وثائقية الى حد كبير تخلو تماما من مشهيات السينما التجارية التي اعتادت عليها الجماهير عموما في مدن وأقاليم مصر المحروسة، وهي مفارقة اكدت زيف الشعار الذي ترفعه المؤسسات الانتاجية ـ «الجمهور عايز كده» تبريرا لدعوتها وتقاعسها عن تقديم سينما خلاقة ومسؤولة، في يوم الافتتاح كنت مسؤولا عن إدارة الندوة التي أعقبت فيلم «تذكرة الى القدس» وهالني ما رأيت من إلمام الجمهور بالتفاصيل الدرامية للفيلم ودلالاتها السياسية، فالفيلم يحكي كما هو معروف قضية الحدود الفاصلة التي فرضها العدو الصهيوني على بعض المدن الفلسطينية للحيلولة دون تواصل سكانها وقطع أسباب التعاون والود، الأمر الذي جعل البطل «غسان عباس» او جابر يصر على اختراق الحواجز الأمنية محاولا التسلل الى مدينة القدس القديمة لعرض افلام سينمائية للأطفال الصغار المحرومين من متعة التسلية والفرجة من خلال آلة عرض قديمة بذل جهدا كبيرا لاصلاحها والعبور بها الى داخل القدس حيث تتركز قوات الاحتلال ويسيطر المستوطنون على ناصية المعرفة والثقافة ويبددون اجتهادات الفلسطينيين في الخروج من شرك الحصار.

وينطوي الفيلم على عدة مفاهيم وافكار يصب معظمها في معنى التشبث بالأرض والوطن، والتحايل على ضعف الامكانيات بالاصرار والتحدث والحرص على مواصلة المسيرة النضالية بغير نهاية ولا حسابات مسبقة لترتيب الاوراق أو وضع خطط أو استراتيجيات فالحقوق تنتزع ولا تمنح وما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة. لم يكن خطاب فيلم «تذكرة الى القدس» او الافلام الاخرى المشاركة جديدا لكنه من فرط الاستغراق الاعلامي في تصوير خطابه المهادن الرخو في التعامل مع القضية بدت الافلام كأنها حالة استثنائية وربما دفع هذا الاحساس الجمهور البورسعيدي الى العودة بذاكرته الى الوراء مستحضرا ايام النضال والمقاومة ضد الكيان الصهيوني في « 56» إبان العدوان الثلاثي وما تلا هذه المرحلة من احداث ساخنة جعلته يربط تلقائيا بين التاريخ البعيد والواقع الراهن الذي يتجدد على شريط السينما دون حذف او اضافة كأن الزمن قد توقف تماما، فبات الحاضر صورة بالكربون من الأمس غير ان شيئا واحدا قد تغير هو الانظمة والحكومات التي باعت وفرطت وراهنت على مستقبل الشعوب بالأوهام فصار الضعف شعارا للسلام والتخاذل عنوانا للحكمة، فيما بقيت القضية كما هي لم يطرأ عليها جديد سوى اشتعالها بزيت المقاومة الفردية معزولة عن أولويات القادة والزعماء وخارج جدول اعمالهم!

ذلك الخطر هو ما حذرت منه السينما بوعي مبكر استبق المبادرات الدبلوماسية ومؤتمرات الدوائر المستديرة التي فشلت في انتزاع الحقوق السليبة للشعب الفلسطيني ونجحت في تثبيط العزائم والهمم وخلق مناخ بارد وتكوينات جليدية اثرت بالقطع على مسيرة السينما العربية، كما اثرت على بقية الفنون وتسببت في شتات وتشرذم النخبة المبدعة فتكرست مفاهيم الفن التجاري والسينما الكوميدية ونشطت بورصة افلام المقاولات التي اسفرت عن تجارب غثة يلعب فيها دور البطولة «أراجوزات» يزعمون التجديد ويطرحون أنفسهم بوصفهم سلعاً تجارية يحتكمون في تحديد قيمتها لطوابير المشاهدين امام دور العرض وملايين الجنيهات التي يحصدونها من شباك التذاكر وتضاف لأرصدتهم من أوراق البنكنوت!

لقد كانت اسابيع الافلام الفلسطينية بأقاليم مصر وبصفة خاصة في مدن القناة محاولة لهدم هذا المعتقد والنظر الى السينما المختلفة بعين الاعتبار، فمشوار الألف ميل يبدأ بخطوة.

هدى: يا صغيرتي التائهة لا تصدقيهم، صدقي الرمل

زياد خداش*

■ لا تصدقي دموعهم، انهم يذرفونها ايضا على المسلسلات العربية، ما انت بالنسبة لهم سوى حلقة في مسلسل عربي ستنتهي حلقاته ذات يوم، فهم في كل الاحوال جاهزون للحزن والانفعال، نحن امة الايقاع والشعر يا صغيرتي، فلا تتفاجئي، بعد اشهر ستكوني وحدك مع اطياف الاهل الراحلين، سأدلك على مكان يحبك، الى مكان لا يكذب، انه الشاطىء، اذهبي هناك بل اقيمي هناك ولا تغادري فثمة بياض وغيوم لن تتخلى عنك ثمة رمل حبيب، كثيف وصموت وصادق، ينتظرك، ليخبرك بحقيقة ما حدث، دون مقابل، انه مفطور على هكذا حياة، ان يكون صادقا. فاذهبي هناك الان، حتى توفري عليك صدمة المفاجآت.

نحن امة الندب والدموع والاصوات والنسيان، من يتذكر الدرة الان؟ اين ذهب الحزن على ايمان الهمص؟؟ بعد اشهر قليلة ومن فرط استخدام مشهدك وانت تبكين بجانب جثة ابيك، سينسون يا صغيرتي، ستجف دموعهم بسرعة، وستجرفهم مشاهد اخرى ليوم او يومين وسيمضون الى تجارتهم ومتعهم واطفالهم وكلابهم المدللة ومؤسساتهم ومونديالهم، وهكذا دواليك تمضي امة العرب حياتها بين دموع ونسيان، لا تصدقيهم أرجوك، كل اولئك الذين اتصلوا بالمحطات الفضائية عارضين تبنيك، انما يستخدمون مأساتك ليتطهروا ويغسلوا ضمائرهم، ويضمنوا مقاعدهم في الجنة، الرئيس الذي عانقك امام الشاشات وذرف بصيص دمعة يستخدمك ايضا لمزيد من حشد الصفوف حوله مزيد من الشرعية الأفلة، حكومة حماس؛ (ظل الله على الارض)، استخدمتك ايضا لمزيد من جذب الانتحاريين، لمزيد من اثبات نظرياتهم العدمية، لمزيد من جرنا الى موت مجاني مجنون، في سبيل معارك تخصهم وحدهم تخص جنتهم واوهامهم وسماءهم الخاصة، يشعلونها باسم الشعب الفلسطيني، الشعب البسيط الذي يريد ان يعيش على الارض ويخلق جنته هنا على التراب لا على سطوح النجوم.

هدى يا صغيرتي:

لا تصدقي احدا، أرأيت؟ لم يجف دمعك بعد وصرختك ما زالت تدوي، ودم أبيك لم تشربه الرمال بعد، ومع ذلك مازال ابطال ظل الله على الارض يتقاتلون مع ابطال اوسلو دفاعا عن ماذا؟؟

عن السلطة، عن المال عن النفوذ عن التحكم بالآخر، لا تصدقيهم يا صغيرتي، لانهم قد يقتلون في حروبهم الغبية هدى اخرى، في شاطىء آخر.

لا تصدقي دموع المصورين الذين صوروا متاهتك : انهم يبحثون عن جوائز، سيحصلون عليها بعد اشهر، وسيقولون في كلماتهم امام جمهور الجائزة: كنا نتمزق بين انسانيتنا وبين مهنتنا فاخترنا مهنتنا،. لا تصدقي كتبة الاشعار والقصص انهم يبحثون عن اثارة درامية فقط، عن تجارب واحداث غريبة، عن قراء مندهشين ومجد شخصي.

الشخص الوحيد الذي اريدك ان تصدقيه هو ابيك الذي صدق في وعده لك ولاخوتك حين قال لكم : حين تنجحون في الامتحانات سآخذكم الى البحر لتمضون يوما كاملا، لم يكذب ابوك، كما كذب معلم التاريخ في مدرسة المخيم حين قال لك : ان ثمة امة عربية موجودة تحمل نفس الدين واللغة والعادات والتاريخ والهموم، اياك ان تصدقي معلم الجغرافيا الذي قال لك: ان اسرائيل هي صنيعة الاستعمار، انها يا صغيرتي صنيعة تخلف العرب. لا تصدقي معلم الرسم حين قال لك ان لون البحر ازرق، قولي له بصوت عال انا رأيت لونه احمر يا استاذي، سيضحك التلاميذ، لابأس.

هدى:

الرئيس الذي اعلن تبنيك وقال لك انه سيكون لك ابا، لن ينهض في الليل ليتأكد انك (مكشفة ام مغطية)، لن يخاف ولن يصيبه ارق حين يداهمك سعال مفاجيء، او حين تقولين له انك تحلمين احلاما مخيفة ولا تستطيعين النوم،

صدقي الرمل يا هدى انه من احتضن صراخك وخزنه في ذاكرته الى الابد، انه من تشرب دم امك واخوتك وابيك وخبأه في مسامات جلده الوفي طريا وطازجا، صدقي الرمل فقط يا صغيرتي انه وحده من يقول الحقيقة ومن يحفظها ويصقلها، حين تعودين الى الشاطىء بعد ان يهدأ فيك جنون الفقد قليلا، ستجلسين على الرمل، سيحكي لك عن اخر هواجس الاب، سيقول لك: خبأت في روحي هاجسين لابيك : اولهما خوفه من المجهول، اذ ان الطعام في البيت قليل، وثانيهما هو: حيرته من العجز عن شراء هدايا نجاح ابنائه في المدارس، وسيكشف لك الرمل عن اخر ضحكات الام وهي تداعب رضيعها، واخر اصوات اخوتك وهم يلعبون فوق الرمل.

هدى: لا تصدقي المقالات ولا الدموع ولا صيحات الانتقام ولا دفء الاقارب المفاجيء، ولا لطف الجيران الغريب، ولا المصورين المتربصين بكوارث الناس ورعبهم، اياك ان تصدقي الطعام الوفير والدسم الذي ملأ ثلاجة بيتكم فجأة، لا تصدقي الصواريخ التي تنطلق الى سدروت لتثأر لك، انها لن تصيب دجاجة هناك ولن تزعج اعداء الحياة والانسان، بالعكس تماما يا صغيرتي، ان اعداء الحياة والانسان ينتظرون الصواريخ بشغف، ليقتلوا هدى اخرى تجلس في شرفة او تلعب في حوش او تأكل الحمص مع العائلة الكبيرة،

غدا سوف تنهضين بلا اب ولا ام ولا اخوات،

لا صحون فول، لا جرس يرن، لا جارات ينادين على امك من الشرفة لا اصدقاء لابيك يطرقون الباب ليلعبوا الشدة في الغرفة العلوية، لا اخوة يشاكسون ويدخنون خلف البيت، فتهدديهم باخبار الاب فيتوسلون لك ان لا تفعلي، وتضحكين انت وتبتزين منهم دفتر رسم جديد او قطعة حلوى.

ستكون امامك ايام غريبة ليست كالايام، صباحات المدرسة القادمة في الصيف الآتي ستكون صباحات مؤلمة، حيث لا أم تضع لك (سانوديش) الزعتر في الحقيبة، لا اب يضع في يدك مصروف اليوم القليل مع قبلة حارة على الخد ـ وتوصيات بالاجتهاد ووعود بجائزة، لا ضجيج في الغرفة الاخرى، لا تلويحات وصيحات للاخوة من الشباك : مع الثلامة يا هدى، سيكون هناك بانتظارك مساءات ليست كالمساءات، عتمات تشبه الضباع وصحراء تشبه الجوع، كلما اهتاج داخلك الحنين الى حضن الاب، اركضي الى الرمل، هو فقط من سيصدق معك حين يقول لك ان اباك كان يحبك وكان يفكر في اخر لحظات حياته في هدية مميزة لك يشتريها من محل الالعاب، بالتقسيط، كلما كذب عليك احد اهربي الى الرمل، سيقول لك الحقيقة، تذكري الرمل فقط، لا الرؤساء ولا الجيران ولا المسعفين ولا البحر ولا الجماهير الغاضبة، تذكري فقط الرمل.

صديق المجروحين والشهداء والتائهين، الشاهد الوحيد على همجية القذيفة وعلى لحظات الرعب الاولى، الكاميرا الحقيقية التي لا تريد مجدا او مالا او شهرة او نفوذاً او سلطة، الرمل الرمل يا هدى، صادقيه، احبيه، اتخذيه بيتا ومدرسة ونافورة وذاكرة ومبكى، الرمل الرمل يا هدى الذي ما زال يحتفظ بوفاء حقيقي في قلبه بنتف صغيرة سقطت سهوا من اياد المسعفين وهم يحملون جثث ابيك وامك واخوتك المزقة. انتظري قليلا على الرمل، ثمة مفاجأة بانتظارك، ها هي فتاة صغيرة بالمريول المدرسي تمشي باتجاهك، من هي يا ترى؟؟ اوه سنراها بعد قليل عن قرب، ها هي تقترب، اوه انها الشهيدة ايمان الهمص، ما الذي تريده ايمان؟؟ ايمان تقول لك يا هدى: «اياك ان تصدقيهم صدقي الرمل. الهي من هؤلاء النسوة والبنات القادمات من بعيد ؟ يمشين باتجاهك يا هدى؟؟» سنعرف بعد قليل، دعينا نصبر وننتظر، هاهن يصلن اليك، اوه، الهي انهن : لينا النابلسي، ايمان حجو، آيات الاخرس، وفاء ادريس، هنادي جرادات، كرستين سعادة، هند الشراتحة، اسلام افنان، هبة ضراغمة رندة خالد، سعاد صنوبر، سامية دلول، دلال المغربي، رجاء ابو عمشة شادية ابو غزالة، حلوة زيدان، سهيلة الوزني، واخريات كثيرات، كلهن اتين اليك يا هدى ليقلن لك فقط : لا تصدقيهم، صدقي الرمل. الرمل الرمل.

---

* كاتب من فلسطين
zkhadash@yahoo.com

بَدْوٌ يَضْحَكُونَ

عزيز أزغاي*

بَدْوٌ يَضْحَكُونَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِلزُّجَاج:

دَائِماً أَقْصِدُ الشَّارِعَ لأَسْتَرِيحَ. أَوْ لأَعْقِدَ صَدَاقَاتٍ جَدِيدَةً مَعَ الْهَرَبِ. حَيْثُ الْبَدْوُ يَضْحَكُونَ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِلزُّجَاجِ. فَقَطْ. لأَنّ سَبَبَاً مَا كَانَ ضَرُورِيّاً لِلتّحِيّةِ. الزّجَاجُ نَفْسُهُ يَضْحَكُ مِثْلَ رَجُلٍ سكْرَانٍ. يَرَى وَجْهَهُ مُسْتَطِيلاً وَلاَ يَفْرَحُ. إِمّا لأَنّهُ يَكْذِبُ. أَوْ لأَنّ الرّجُلَ تَرَكَ قَسَمَاتِهِ دَاخِلَ دُولاَبٍ قَدِيمٍ. قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الأَشْبَاحِ.

يَحْدُثُ ذَلِكَ فِي الْعُمْقِ. رغْمَ أَنّ الشّارِعَ الضّاجّ بِالأَعْطَالِ. لَيْسَ بِالضّرُورَةِ اخْتِبَاراً لِجَلْدِ الْوَقْتِ. هُنَاكَ دَائِماً سَبَبٌ لِفَهْمِ الْعَطَبِ: ـ كَأَنْ تُمْسِكَ بِيَدِكَ النّادِمَةَ. مَثَلاً. وَتَذْرَعَا مَعاً الْحَانَاتِ الّتِي لاَ تَتْعَبُ. أَوْ تَبْحَثَا. فِي مَكَانٍ آخَرَ. عَنْ صُوَرٍ كَانَتْ سَتَلِيقُ بِأَغْلِفَةٍ. مَادَامَ اللّيْلُ. فِي الْعَادَةِ. يَأْتِي بِأَكْثَرَ مِنْ قُفّازٍ. كُلّمَا تَعَلّقَ الأَمْرُ بِالرّهَانِ.

أَنَا لَسْتُ حَزِيناً. حَتّى إِنّنِي أَضْحَكُ كَثِيراً. كُلّمَا رَأَيْتُ الْبَدِينَاتِ. وَهُنّ يُعَذّبْنَ الْمُوضَةَ بِالْفَيَضَانَاتِ. كَأَنّمَا يُصَرّحْنَ بِثَرَوَاتٍ لاَ تَنْطَلِي عَلَى غَرِيزَةِ أَحَدٍ. رُبّمَا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ شَيْءٍ يَحْدُثُ أَمَامَ ارْتِطَامِ اللّحْمِ. بَعْدَهَا. يَكُونُ عَلَيّ أَنْ أَسُوقَ أَفْكَارِيَ الْحَزِينَةَ. إِلَى حَظِيرَةٍ ضَاحِكَةٍ.

ثُمّ هَلْ حَقّاً الضّحِكُ يُفْسِدُ الْبَيْعَ؟! هنَاكَ مَنْ بَاعَ الرّمْلَ لِلأَصَابِعِ. دُونَ أَنْ يَخْسِرَ يَدَيْهِ. هذَا. عَلَى الأَقَلّ. عَرَقٌ يَلِيقُ بِالأَطْرَافِ. تِلْكَ الّتِي تَجْتَهِدُ كَثِيراً دُونَمَا سَبَبٍ. بَعْدَ ذَلِكَ. لاَ أَحَدَ يَضِيعُ فِي الأَجْوِبَةِ.

الّذِي رَأَى. لَيْسَ هُوَ نَفْسُهُ مَنْ رَسَمَ شَارِعاً بِعَجَلاَتٍ. ثُمّ بَدَأَ يُحْصِي الْقَتْلَى الذّاهِبِينَ إِلَى الْجُمُعَةِ. بِخَطَايَا كَثِيرَةٍ وَنَتِنَةٍ.

لِهَذَا السّبَبِ بِالذّاتِ
لَيْسَ غَرِيباً أَنْ أَقْصِدَ الشّارِعَ
لأَبْعَثَ إِلَيّ بِبَاقَةِ وَرْدٍ
ثُمّ أَسْتَرِيحَ.
يَحْدُثُ ذَلِكَ
حِينَمَا لاَ أُغَادِرُ الْغُرْفَةَ.

***

حِمَارُ اللّيْلِ:

مِنَ الْمُؤَكّدِ أَنّ أَحَداً مَا. كَانَ جَالِساً فِي الْمَكَانِ الّذِي أَنَا فِيهِ الآنَ. عَلَى نَفْسِ الْمَقْعَدِ. عَلَى الْهَيْأَةِ نَفْسِهَا.

رُبّمَا جلَسَ هُوَ الآخَرُ وَحِيداً. بَعْدَمَا اسْتَنْفَدَ فَرْدَتَيْ حِذَائِهِ وَالْجَوَارِبَ وَالْقَدَمَيْنِ. وَلأَنّ الدُّنْيَا. كَمَا أَتَخَيّلُ ذَلِكَ الآنَ. عَلَى نَفْسِ الْمَقْعَدِ. عَلَى الْهَيْأَةِ نَفْسِهَا. دَارَتْ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِ دَوَرَاتٍ دُونَ أَنْ يَدُوخَ. فَقَدْ يَكُونُ جَلَسَ قَلِيلاً كَيْ يُنْصِتَ إِلَى الْعِظَامِ الّتِي لاَ تَكْذِبُ. عِظَامِهِ الّتِي كُلّمَا تَأَمّلَهَا. بَدَتْ لَهُ مِثْلَ طَرِيقٍ سَيّارٍ لاَ تَنْقُصُهُ الْحَوَادِثُ وَالْفَزَعُ. لِذَلِكَ. هُوَ يَعْرِفُ كَيْفَ لاَ يَنَامُ وَفِي قَلْبِهِ حَشَرَاتٌ بِشَوَارِبَ كَثّةٍ وَعَضَلاَتِ مُصَارِعِينَ.

إِلاّ أَنّهُ. فِيمَا بَدَا لِي. لَمْ يَكُنْ يُدَخّنُ بِشَرَاهَةٍ مِثْلِي. أَوْ إِنّهُ لاَ يُدَخّنُ بِالْمَرّةِ. رُبّمَا كَانَ يَخَافُ. مِثْلَ أُنَاسٍ طَيّبِينَ. مِنَ السّرَطَانِ. الْخَوْفُ مِنَ السّرَطَانِ مُفِيدٌ لِلصّحّةِ. لِهَذَا السّبَبِ. تَرَكَ مِنْفَضَتَهُ نَظِيفَةً إِلاّ مِنْ أَوْرَاقِ الْيَانَصِيبِ الْمَدْعُوكَةِ بِقَلَقٍ. لأَنّ يَدَيْهِ. فِيمَا رَأَيْتُ. كَانَتَا وَاثِقَتَيْنِ مِنْ أَنّ لاَشَيْءَ يَسْتَحِقُّ الضّرْبَ. حَتّى عِنْدَمَا يَتَعَلّقُ الأَمْرُ بِالّذِينَ قَالُوا وَرَاءَهُ كَلاَمَاً كَبِيراً وَمُتّسِخاً.

وَرُبّمَا الصّبِيّةُ الّتِي تَمْشِي أَمَامِي الآنَ. مِثْلَ قِطّةٍ مَعْطُوبَةٍ فِي مَكَانٍ خَطِيرٍ وَحَسّاسٍ. هِيَ الأُخْرَى حَلَبَتْهُ بِالْكُرْهِ الّذِي يَسْتَدْعِيهِ الأَلَمُ. قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ نَظِيفاً خَفِيفاً. تَمَاماً. كَمَا أَنَا الآنَ. لِذَلِكَ. يُخَيّلُ إِلَيّ أَنّي أُفَكّرُ. أَنَا كَذَلِكَ. مِثْلُهُ فِي الأَشْيَاءِ. كَأَنّ الْفَهْمَ فِيهِ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنَ اللّمْزِ!

هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَاً كَافِياً لأَجْلِسَ فِي مَكَانِهِ الآنَ؟ عَلَى نَفْسِ الْكُرْسِيّ؟ عَلَى الْهَيْأَةِ نَفْسِهَا؟

لَسْتُ مُتَأَكّداً تَمَاماً.

قَبْلَ يَوْمَيْنِ. فَقَطْ. صِرْتُ أَنَامُ بَاكِراً. حَتّى لاَ أَسْتَيْقِظَ فِي مَكَانٍ آخَرَ.

---

* شاعر من المغرب

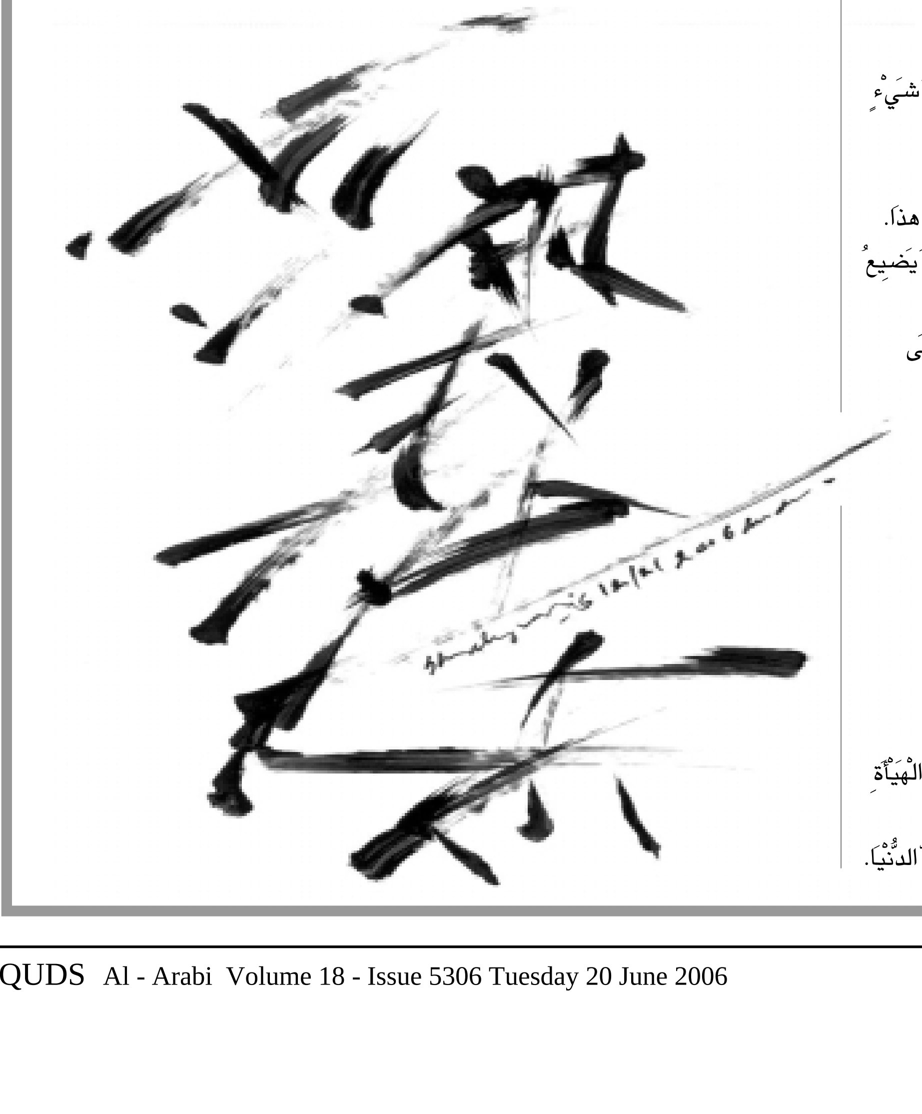

ليث عبد الامير يبحث عن صورة العراق الحقيقية في فيلمه «العراق: اغاني الغائبين»

باريس ـ من هدى ابراهيم:

بعد خروجه قبل ايام في احدى الصالات الباريسية يتابع فيلم «العراق: اغاني الغائبين» التسجيلي للعراقي ليث عبد الامير الذي يطرح مسألة الهوية العراقية رحلته الناجحة ليعرض في صالة في الضاحية الفرنسية وفي مناطق فرنسية عدة.

واعتبرت الصحافة الفرنسية الفيلم الذي شارك في عدد من المهرجانات رائدا في رصد الحالة العراقية وتصويرها بعيدا عن صورة القتل والعنف اليومي التي ترشح عن هذا البلد.

ويطرح الفيلم مسألة الهوية العراقية من خلال رحلة تخترق العراق وتجول على اماكنه وطوائفه المتعددة في محاولة لرصد التحول الذي طرأ على هذه الهوية بفعل التغيرات وبعد ان بات هذا البلد على شفير الحرب الأهلية.

ويحاول الفيلم من خلال تلك الرحلة التي تتوقف في الاهوار في جنوب العراق وتتابع صعودا مرورا بكربلاء رصد الحالة العراقية اليوم وما الم بوضع البلاد على صعيد الهوية ومفهوم الدولة عقب الاحتلال الاميركي للعراق.

وتعتبر هذه المعالجة جديدة نسبة لما انتج في المجال التسجيلي العراقي منذ العام 2003 لكن الطريقة التقليدية التي اتبعت في كتابة وقراءة التعليق على الشريط اضرت بالفيلم ولم تضف للمادة الصورية المقدمة.

وصور ليث عبد الامير فيلمه قبل الانتخابات العراقية في مرحلة حرجة امنيا ما اضطره للذهاب بمفرده دون فريق عمل. وتشكل الفريق في العراق من عدة مصورين تم تغييرهم اكثر من مرة قبل ان يلجأ المخرج الى مصور فوتوغرافي عمل على اتمام صورة الفيلم.

وعن فترة التصوير تلك يقول ليث عبد الامير لوكالة فرانس برس: «لم نكن قادرين على اخذ راحتنا على الاطلاق كنا نصور بدون اعداد ولم نكن نستطيع البقاء في المكان لاكثر من عشرين دقيقة».

ويضيف المخرج الذي لم يتح له الالتقاء بكل الشخصيات التي كان يريدها في رحلته الطويلة: «الفيلم الوثائقي يتطلب ان نمكث وقتا اطول في المكان كي نتمكن من اخذ مادة ثمينة لكن متابعتي للشأن الثقافي العراقي ساعدتني في البحث عن الاماكن التي اتطلع اليها وإلى تشكيل مادة الفيلم».

وعن ولادة فكرة الفيلم يقول ليث عبد الامير انه ذهب الى العراق بهدف تحقيق فكرة اخرى عن رحلة قطار الشرق السريع الذي كان يربط بغداد ببرلين ومن خلاله التاريخ العراقي «لكني تخليت عن هذه الفكرة بعد بقائي في بغداد والتقائي بمعارفي اذ اعتبرت ان الحديث عن الهوية امر ملح».

ورأى المخرج ان الهوية العراقية تحولت اليوم الى هويات فالناس اصبحوا يلجأون الى عشائر وطقوس باتت بمثابة ملاذ ومحمى لهم.

ويحاول الفيلم الذي انتخبت سكة رحلته من بين مئة ساعة تصوير البحث عن صورة العراق الحقيقية من خلال موضوع الهوية والتعايش وتعددية مكونات المجتمع العراقي التي يمكن ان تكون مصدر غنى للبلاد كما يمكن ان يكون لها مفعول عكسي.

ويقول المخرج «حاولت نقل هذا الواقع ورصد الحالة العراقية لكن السينما التسجيلية تنطوي ايضا على فنية ومعالجة قائمة في اشارات وايحاءات يرسمها الفيلم للمشاهد» ويضيف ليث عبد الامير شارحا اسلوبه في المعالجة: «حاولت الابتعاد عن الخطاب السياسي او الفلسفي الذي يثقل الشريط واستخدمت اللغة السينمائية التي وجدتها مناسبة لي حيث طرحت اشارات يمكن للمشاهد ان يلتقطها وفق آليات وعيه وثقافته ومن زاويته وبالمعنى الذي يريد".

ويشارك «العراق: اغاني الغائبين» في عروض مهرجان السينما العربية الاوروبية في عمان كما يشارك في مهرجانات في روما واليابان وقرطاج.

ويعد ليث عبد الامير لفيلم روائي جديد هو بصدد كتابة السيناريو له ويدور حول ما يحصل في العراق حاليا.

وتخرج ليث عبد الامير من قسم السينما في جامعتي السوربون وكييف واخرج ثمانية افلام تسجيلية وروائية بينها فيلمه «المهد» الذي فاز بجائزة مهرجان دمشق السينمائي عام 1985.